رحبا للدرس ، فيخرج علينا ضمن نتائجه الكبرى بصور من التمايز والتفرد التى اصطبغها أقطاب تلك الطائفة ، حتى أضافوا من خلالها سمتا حديداً إلى بنية القصيدة الجاهلية المتعارف عليها لدى شعراء القبائل وكأنما وضعوا بين أيدينا قياس أول حركة تجديدية فى تاريخ الشعر العربى هى نبت نفس البية وإفراز نفس العصر قبل مجئ حركات التجديد التى شهدتها القصيدة العربية عبر عصور التحول الحضارى والسياسى والفكرى والفنى . (٣) .

وإذا بالدراسة تفرز لنا عناصر التجديد التى تشبث بها الصعلوك لنتوقف عندها تحليلا منذ خروجه ـ أى الصعلوك ـ على القبيلة ، إلى حروجه بالتبعية على القصيدة ، فلم يشأ أن يقف أو يبكى ، أو يوقف أو يستبكى أمام الطلل ، ولم يتأ أيضا أن يهزم أمام عالم المرأة بقدر ما أتر الفرار منها ، ومال إلى المغايرة فى حواره حولها ، وحول طيفها الذى أحاله إلى طيف متصعلك يجد فيه معادلا أمينا لواقعه ، وصورة حية من صور عالمه ، وتطبيقا فعالاً للطبيعة النوعية لفلسفته .

وإذا بدارس الصعاليك يقيم منهجه ـ أساساً على الاستقراء للمرويات أخباراً وشعراً ، واستقصاء لأركان المادة النصية التى نهض على جمعها ، فسجل بذلك معلما بحثيا فى كيفية الجمع ، وأمانة التنقيب، يدفعه إلى ذلك الجلد والتحمل ، مما يمتد لديه إلى مستوى المعالجة والتناول والتصنيف والدرس التحليلى ، إلى أن استقام المنهج بين يديه ، فهيأ لنا من شعر الصعاليك ديوانا نقرؤه من واقع تصوره له ، باعتباره منظومة متكاملة تتداخل فيها رؤى زعيمهم الشعبى (عروة بن الورد) ، مع تمرد الرفاق الذين جمعتهم قسوة الحياة، ووحّدهم البحث عن صيغة للخلاص من الظلم الاجتماعى ونمطية التعبير القبلى معا (٤) وعلى غرار ما استوقفه من أمر السليك بن السلكة والشنفرى وتأبط شرا وغيرهم من أقطاب الطائفة .